

—(129)—

شيئاً في جنب الشيطان وكيده، واللّه يقول فيه: (... إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً) (1) فكيف لا نفهم من هذا القول، أنّ اللّه يوقظ الإنسان من غفلته، ويلقي في قلبه الشجاعة والأمل لمقاومة الشيطان وجنوده؟ وكيف لا ندري أنه يزوّده بسلاح جديد، حين يكشف له عن عدوّه الشيطان؟ ومن لا يعلم أن الضعف في العدو هو سلاح لا بدّ أن ينقلب عليه متى انكشف للطرف الآخر الذي يغالبه ويحاربه؟

ونحن لا نختلف، في أنّ البلاد وشعبها وأرضها هي أمانة في عنق الحاكم، وهي أيضاً أمانة في أعناق العلماء وزناً بوزن وحبّة بحبّة كما يقولون، فإذا انحرف الحاكم وتناول واستبد، فقد بقي الخير والأمل في العلماء ماداموا لم يطاوعوه ولم يقبلوا سيرته في الحكم وتديره الأحوال والأمور. أما إذا انضموا إليه وأيدّوه، فيما يقول ويفعل بفتوى تعتمد نصاً مزوّراً، أو بحجّة تقوم على نصّ متأول، دفعاً للفتنة أو ركوناً إلى السكوت والصبر، فإنّ ما سيعانيه الشعب من عواقب ذلك يأتي أشدّ من ألف فتنة وأمرّ من ألف صبر. وهل هذه العواقب إلا الضعف والفساد والفقر والتخلف والانحلال وأمثالها من المبيدات والدممّرات، وقد سبق ذكرها؟!

ومن للشعب في عسره ويسره إلا علماؤه وقادة الفكر فيه؟ إنهم إذا انسدت الدنيا في وجهه، وأظلمت عليه الحياة، يصيرون له النوافذ التي تحمل إليه النسائم وتأتيه بالضياء. وإذا خانه دُكّامه وخانوا بمواعيدهم وانقلبوا عليه، فإنّ العلماء وأرباب الفكر، ينقلبون آنذاك إلى وقود يدخل إلى النفوس فيوهجها ويخلق فيها الحركة والتوثّب، ويتحوّلون إلى أشعة كاشفة، تهدي إلى الطريق اللاحب القويم. وليس الوقود إلا التضحيات وليست الأشعة إلا أقوال الحق وأفعال الحق. ولولا أمثال هؤلاء العلماء وقادة الفكر لتأخّر تطوّر البشرية أحقاباً طويلة، ولا بتليت الشعوب بالعقم، والحياة بالقحط، وأصبح انقطاع العيش خيراً من استمراره.

وربّما اتّفق لهؤلاء العلماء الذين يتعايشون مع الحاكم الظالم، أن يجدوا ملجأً آخر حصيناً يهربون إليه، وهو دُجّتهم بأنّ عملهم ينحصر في الوعظ والإرشاد

